اللغة العربية في الإعلام المرئي المسموع

د. أحمد بن عجمية[1]

جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف

ما أحوج المجتمع إلى مذيع أو مذيعة أخبار يتكلم بلغة سليمة، ويحرص في أدئه لها بالتمسك الشديد والتشبث بقواعدها صوتا وصرفا ونحوا وبلاغة، والمذيع في مهمّته هذه هو المرجع والأساس، وهو محط أنظار الكبير ولصغير المعلّم والمتعلّم.

وحريّ بهذا المذيع الذي يلفت انتباه الجميع أن يؤكد على سلامة القاعدة اللغوية، وألا ينحني للعامية أو الدخيل في مخاطبته مستمعيه، رفقاً بهم ورفعا لمستواهم وتهذيبا للخطاب المسموع، لأنه أظهرت الكشوف عن دور الإعلام المسموع والمرئي في تهذيب المستعمل في الخطاب اللغوي العربي، لكونه خطابا مسموعا، ولأن السماع أصل من أصول الاكتساب اللغوي، بل هو أبو الملكات اللغوية، ولأن العامية في عمومها عاجزة عن التعبير الصادق لأبعاد الكلمة ومعانيها، وإذا كان المذيع بالقنوات الأجنبية يشتغل معظم وقته يدرس قواعد لغته، مع ما هو عليه من التخصص في لغته، يبتغي من وراء ذلك النطق السليم الخالي من الأخطاء ولابدّ ونحن نتناول موضوع اللغة العربية في وسائل الإعلام من الإشادة بعدد من الإعلاميين في الإذاعة والتلفزة الذين يحرصون كل الحرص على سلامة اللغة أداء واللفظ صوابا، وتجنب الوقوع في الأخطاء الصرفية والنحوية والمعجمية، وغير خفي ما للتلفزة من أثر على الناشئة التي تظل عاكفة أما لها مدة أطول، وإذا صدر خطأ عن هذا المذيع أو تلك،

1- أستاذ محاضر – قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة شلف

فإن الطفل أو الراشد كليهما يحسب ما ينقل إليه صوابا، وإذا ما تكررت العملية يرسخ الخطأ في ذهن ويصير اقتلاعة أمرا عسيرا، لا نخفي عيبا إذا قلنا أن مستوى التعليم ببلادنا غير مرض بدءا بالابتدائي والثانوي ووصولا إلى الجامعي، إذ كان التخرج من مرحلة التعليم الابتدائي يشفع لصاحبه بأن يتولى مهمته التعليم، وما أدراك ما مهمة المعلم ؟ أما اليوم فإنّ المتخرجين من أقسام اللغة العربية بالجامعة عاد لا (يطمئن)، بحيث لا إتقان للغة الضاد أداء ورسماً.

إن تدني المستوى واكب مراحل التعليم جميعها بدءا بالتنظيم وانتهاء بالمعلم، وإذا كان الوقوع في الخطأ سابقا يربك صاحبه ويأخذه العرق البارد فإنه اليوم أضحى هذا الخطأ على صاحبه برداً وسلاماً.

وإذا كانت الإذاعة أو التلفزة من الوسائل العامة المحققة لأهداف تربوية، كما أكد ذلك علماء التربية والتعليم، لما لها من تأثير فعّال ومباشر في تنمية قدرات المستمعين فإن الأخطاء التي تسربت وتعددت وتنوعت أثرت سلبا على هذا المتلقي الذي اغترف أساليب هجينة تنأى عن عرف العربية الأصيلة، إذ حاله وهو يقول : (كلّما كثر الغيم كلّما كثرت الأمطار)، يلاحظ تكرار –كلّما – ههنا، والصواب ألاّ تتكرر، وأن يليها عادة فعل ماض، نحو قوله تعالى (كلّما أضاء لهم مشوا فيه)[1] وكذلك قوله تعالى (وإني كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا ....)[2] وأنّ المصدرية التوقيتية شرط من حيث المعنى، فمن هذا احتيج إلى جملتين إحداهما مرتبة على الأخرى[3].

وفي مثل هذا قال الشاعر :

كلّما أنبت الزمان قَنَاةً ✧ ركب المرء في القناةَ سنانا

1- سورة البقرة الآية 20

2- مغني البيب – ابن هشام 276/1.

3- رصف المباني للمالقي

يضطلع دور الإعلام بتهذيب المستعمل وتأصيل اللفظ العربي الدارج وجعله مستساغاً لدى المستمعين، فالإذاعة على وجه الخصوص تسهم في تنمية الوضع اللغوي بسهولة ويسر والحال هذه شاعت أخطاء في وسائل الإعلام، وهي ذات صلة وثيقة بالجانب النحوي من ذلك قولهم : (جاء نفس الرجل)، و(رأت ذات المرأة)، وظف المذيع لفظي: نفس وذات وابتغى من وراءها التوكيد، غير أن لم يحصل، وذلك أن التوكيد يجب أن يلي المؤكد ويرتبط بضمير يعود على المؤكد ويناسبه تذكيراً وتأنيثا والصواب : جاء الرجل نفسه ورأيت المرأة ذاتها[1].

كما أنّ لفظي، (سوى وغير) وهما يدخلان في أسلوب الاستثناء[2] تردان مجردتين من (ال) التعريف، والخطأ الشائع هو ورودهما مقترنين ب (ال)، فيقولون : (هذا السوي من الكائنات)، و(هذه الألفاظ الغير مفهومة)، ويدخل تحت هذا النوع من الخطأ تعريف لفظ (بعض) والصواب أنها لا تعّرف قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)[3].

كما يقع الخطأ في استخدام "اللام" الدالة على الاختصاص والملك في غير محلهما، فيؤدي ذلك إلى ركاكة في الأسلوب وضعف في تركيب الجملة العربية، من ذلك قولهم: (في السن المبكرة للطفل) والأفصح أن يقال (في سن الطفل المبكرة) إذ (المبكرة) صفة للسن المعرف بالإضافة.

كما يجانب المذيعون الصواب عندما يقولون : (وقع ذلك إثر قتل الجنود لاثنين من الفدائيين) والصواب أن يقال : (وقع ذلك إثر قتل الجنود اثنين من الفدائيين)، وذلك أنّ العامل في (اثنين) هو المصدر المضاف (قتل) الذي يعمل عمل

1- شرح جمل الزجاجي – لابن خروف تج سلوى محمد عمر عرب 958/2 السنة 1419 هـ

2- سورة البقرة الآية 253

3- لسان العرب ابن منظور حسب 163/3

الفعل المبني للمعلوم، فهي مفعول للمصدر السابق لها، وهذا الخطأ يرد كثيراً في المستوى النحوي.

فأما في المستوى الصرفي، فإنه يصعب على كثير من المذيعين ضبط عين المضارع دون العودة إلى المعاجم، فقد يقع الخطأ في مثل : (شرب، لعب، نسخ، نفخ، وسحب وعمل)، لأن بعض هذه الأفعال يتوسطها حرف من حروف الحلق أو تنتهي به، نحو : (نسخ، نفخ وسحب) فإن القاعدة فيه، هو فتح عين المضارع إلاّ في حرفي (الخاء والغين) لأنهما حرفا استعلاء ويقع الخطأ في ماض الأفعال المعتلة، ويجنح إليه المعلقون الرياضيون تعاليقهم من ذلك (رَمَوْا، قضَوْا، سَعَوْا) تفتح الحروف التي قبل (الواو)، لأن الفتح ههنا دلالة على الألف المحذوفة، وأصلها : (رَمَاوا، قضاوا . سعاوا) وهكذا، ولكنّ بعض الأفعال يجب أن يقرأ الحرف الأخير فيها مضمونا مثل (سَامُوا، رَامُوا) إذ هي من سام ورام، وليست معتلة الأخر بل هي معتلة الوسط، فهي أفعال سليمة بالنظر إلى أواخرها، لذالك تظهر الضمة حينئد وقد يخطئ بعض المذيعين في إحدى الكلمتين المختلفتين دلالة وإعراباً من ذلك (حسب) بتسكين السين و(حسب) بفتحها، إذ لا بدّ من التمييز بينهما:

1 – حَسْب : مسكون بمعنى (كَفَى)، قال سبويه : (وأمّا حسب فمعناها الاكتفاء، وحسبك درهم أي كفاك وهو اسم[1] .

2 – وأما حَسَبَ : مفتوحة السين تدلّ على العدد والقدر كقولنا : (هذا بحسب هذا)، ومنه (الأجر بحسب المعصية) وهناك الحَسَبَ ما نعدّه من مفاخر الآباء[2] .

1- مصدر السابق 163/3

2- باب الفرق بين (أن) و(إن) الجمل، ص 57

3 – يكثر الخلط في استعمال الهمزة (أن) المكسورة والمفتوحة. (فأن) مغيّرة من (إنّ) وو كلاهما حرف توكيد ف (أنّ) وما عملت فيه بتقدير اسم مفرد يقع موقع الأسماء المفردات من كونها فاعلة ومفعولة ومجرورة.

وكلّ موضع صلح فيه ذلك وقعت فيه المفتوحة إلا أن تدخل اللام في خبرها فتعود إلى الكسر، نحو (علمت إنَّ زيداً لقائم)

وأما في المستوى الإملائي، ونعني به ما يمسّ شكل الكلمة ورسمها، من ذلك الخلط بين (ال) الشمسية والقمرية، وهو ما كان جليا يدركه في السبعينيات تمام الإدراك منذ المرحلة الابتدائية من ذالك (ال) القمرية تليها الحروف التالية (ابغ، حجك، وخف عقيمه) فالمذيعون لا يفرقون بين المستويين في التعاطي الإعلامي.

وأما المستوى اللغوي فيشيع في وسائل الإعلام المسموع والمرئي الاستعمال العامي.

هل يمكن الاستغناء عن العامية ؟

ولماذا يلجأ الكتّاب والممثلون إلى توظيف العامية في مسرحياتهم ؟

إنّ عزوف الممثلين عن استعمال الفصحى وميلهم إلى العامية نابع من حيث خضوع الأولى إلى القواعد الصرفية والنحوية وبعدها في التركيب اللغوي عن الركاكة وانزياحهم إلى العامية لسهولتها أولاً ولتعود الناس عليها بما يجري في أحاديثهم اليومية، وقريب من هذا المعلمون والمثقفون الذين يديرون أحاديثهم بالعامية رغبة منهم في توصيل الفكرة إلى عامة الناس.

وإذا كانت العامية عائقا في التواصل بين الشعوب في شتى المجالات، فإنّما التّواصل باستخدام العربية الفصحى لغة في الحوار التمثيلي، لأنه يساعد على التواصل اللغوي والثقافي بين الشعوب.

لقد أحسّ الكتاب بهذه المشكلة (العامية) منذ أقدم العصور، فهذا مارون النقاش[1] منذ أن قدّم مسرحيته الأولى (البخيل) عام 1847، تناولها بمستويات لغوية عدّة، فأنطق أحد أبطال مسرحية الخادمة اللبنانية (أم ريشا) بالعامية اللبنانية وأنطق (عيسى) بالعامية المصرية وترك (غالي) و(نادر) ينطقان بالعربية كما نطق بها الأتراك[2] وسمح للشخصيات المتعلمة بنطق اللغة الفصيحة، لكن عمله لم يكن حلاّ لمشكلة الحوار.

وهكذا تناول الكاتب مسرحيته بمستويات لغوية مختلفة، ولعلّ ميله إلى استعمال العاميّة في حواره رغبة منه – كما يفعل الكتاب اليوم – ليفهمها الأميون من الناس ويتأثرون بها.

ولا شك أن الكتاب يكونون عاجزين عن الكتابة بالفصحى، ولكنهم كانوا يكتبون بالعامية متجاوزين قيود النحو والصرف وقواعد العربية.

ويعزو الأخصائيون اللغويون هذا التجاوز إلى المجتمع الطبقي المتفاوت في الثقافة والمدارك، وهكذا فالكاتب أو الممثل أو المذيع مضطرا إلى أن يوصل رسالته إلى المستمعين بالعامية، ويبرر أصحاب هذا التوجه بأن الهدف ليس اللغة في حد ذاتها بقدر ما هو مطلوب في اللغة من تحقيق الغاية من الخطاب وإذا لا مفر من استعمال العامية مراعاة للفئات الاجتماعية، لم تؤهل علميا وثقافيا لاستعاب اللغة الفصيحة من ذلك أن الأعمال الفنية التي تقدمها التلفزة للجماهير بالعامية المصرية، وعلى مرّ الشهور والسنوات استوعبت هذه الجماهرية العامية وتفاعلت مع الفن المقدم، لأنها اعتادت على السماع لهذه اللهجة وفهمها.

1- أديب لبناني (ت 1855) مثل أول مسرحية بالعربية اقتبسها عن البخيل لموليير

2- التراث العربي- مسألة البهجة والعلمية – العدد 78 السنة 2000 ص 13.

ودور الإعلامي ههنا مطالب إفهام المستمع في محيطه العام باستخدام اللفظ المألوف، فإن عدل عن ذلك أظلم قوله وانقطع ما بينه وبين مستمعيه.

وبناء على ذلك يتحرى الإعلامي إنجاح العملية التواصلية بين المذيع والمستمع في كل مستوى، من ذلك نشرات الأخبار التي تشد إليها انتباه الجميع الذين ينتظرون خبرا وقد صيغ بلغة عربية فصيحة سليمة من عيوب النطق والركاكة ونتيجة لذلك أي العناية بتقديم الأخبار وتميزت لغة الخطاب بمذيعين أو توا قسطا من الفصاحة والبيان والأداء السليم مع الحرص على توظيف اللفظ على العامي، وشعارهم في ذلك بعث العربية الفصيحة وإيثارها على العامي والدخيل.

الخاتمة : عرضت المداخلة لأهمية المرئي والمسموع في نشر الاستعمال اللغوي بكل مستوياته ولكن قد يصيب هذا الاستعمال سبيل من الكلمات العامية أو الدخيلة، ونرى أنه لتطهير هذا على المدى المتوسط من حيث إنّ هذه الإشكالية مرتبطة أشد الارتباط بنمو تعليم الأمة ورقيّها الحضاري، وهذا يتطلب تكاثف الجهود يبدأ بالمدرسة وصولا إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية التي يجب أن ترتقي إلى درجة تقل معها الأخطاء إلى أدنى مستوياتها.

ولهذا نقترح بتعميم الدروس العربية وإلزاميتها على كافة العاملين في الإذاعة والتلفزيون من مذيعين ومقدمي البرامج ومترجمي الأفلام والمسلسلات والبرامج الأجنبية، نتناول هذه الدروس المسائل اللغوية ذات الصلة بالصرف والنحو والتراكيب والدلالة، واختيار المدققين اللغويين أصحاب الأهلية العلمية لمتابعة البرامج المعروضة، وملاحظة الأعمال الموجهة للجماهير والعمل تصويب ما ورد فيها من أخطاء، وتنبيه معدي البرامج والمسؤولين مباشرة ولا يجب أن تخلوا نشرات الأخبار من

المراجعين اللغويين أثناء إعداد هذه النشرات وعرض المترجمة وكذلك البرامج الأجنبية على المراجعين اللغويين قبل العرض أو التسجيل على الأشرطة.

وإعداد نشرية داخلية يدوّن فيها الأخطاء المرتكبة أثناء البث الإذاعي والتلفزي، مع العمل على تصويبها والعمل على تعميمها على العاملين ورؤساء المصالح المختلفة وتشجيع من يسعى إلى تعميم الفصحى بترقيته في دائرته والتنويه به والتذكير بخصال هؤلاء العمال في كل مناسبة من المناسبات حتى يستوي العمل الإذاعي إلى عمل الأمم الراقية.